موضوع الخطبة: الحسد

الحمدُ للهِ المُعطي المانع، الضارِّ النافع، لا إله غيرُه، ولا ربَّ سواه. أحمدُه تعالى على نعمِه التي لا تُحصى ولا تُعَد، وأشكرُه، وهو أهلُ الحمدِ والثناءِ والشكر. وأُصلِّي وأُسلِّم على مَن أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، محمدٍ خاتمِ الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

عبادَ اللهِ، إنَّ الحسدَ داءٌ من أخطرِ الأدواءِ، وهو سببُ الفِتنِ والعداوةِ والبغضاء، وهو مرضٌ قلبيٌّ قتّال؛ ما فشا في أُمّةٍ إلا أهلكها، وما انتشر في جماعةٍ إلا كان سببَ شقائها وبلائها. إنَّه سيفٌ قاتل، يضرِب به الشيطانُ القلوبَ فتتمزَّق، والمجتمعاتِ فتتفرَّق، فيُفسِد المودَّةَ، ويزرع الحِقدَ، ويُنبِت العداوةَ، بل يحلِق الدِّين، ويهدم الدنيا، ويقضي على بواعث الخير بين المؤمنين.

ذلكم - يا عبادَ الله - هو داءُ الحسد؛ والحسدُ داءُ الأممِ وسرطانُ الشعوبِ والعباد، والحسدُ - يا عبادَ الله - أخو الشرك. روى الإمام أحمد والترميذي أن النبي (ﷺ) قال: " دَبَّ إليكم داءُ الأُمَمِ قبلكم: الحسدُ والبغضاءُ، هي الحالقةُ؛ لا أقولُ تحلِقُ الشَّعرَ، ولكن تحلِقُ الدِّينَ. والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا. أفلا أنبِّئُكم بما يثبِّتُ ذلكم لكم؟ أفشوا السلامَ بينكم".

فما أوقع الناسَ في مصارعِ الهلاك إلا الحسدُ؛ والحسدُ أوَّلُ ذنبٍ عُصي اللهُ به في السماء، ومنه انطلقت شرارةٌ لتُوقِد عواملَ الشقاء في الإنسانيّة. فما الذي أوقع إبليسَ في معصيةِ الله إلا حسدُه لآدمَ عليه السلام؟ وما الذي حمل قابيلَ على قتلِ أخيه هابيل؟ وما الذي حمل إخوةَ يوسفَ على ما فعلوا به إلا الحسدُ. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سورة سوسف: 8).

وما الذي حمل اليهودَ على جحدِ نبوّةِ الرسولِ محمد (ﷺ)، والسعيِ في بثِّ الفساد في هذه الأمة، إلا الحسدُ. قال الله سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (سورة البقرة: 109). وهو الذي أدّى بكفارِ قريشٍ إلى الاستكبارِ عن دعوةِ النبي (ﷺ)، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.(الزخرف: 31)

عبادَ الله: اليوم ما فرقَ الأمةَ شيعًا متنافرةً وأحزابًا متناكرةً، وأخوةً متباغضةً إلا الحسدُ. فاحذروا، رحمكم الله، فإن نبيَّكم (ﷺ) قال: "لا تَحاسَدُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَجَسَّسُوا، ولا تَحَسَّسُوا، ولا تَناجَشُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا" (رواه مسلم).

روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي (ﷺ) قال: "إيَّاكم والحسدَ، فإنَّ الحسدَ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ ـ أو قال: العُشب". ألا قاتلَ اللهُ الحسدَ، كم أذهبَ من نعمة! وكم جرَّ من نقمة! وكم فرَّق بين الإخوة! وشتَّت شمل الأحبَّة! فلِمَ هذا يا أهلَ الإسلام؟! أم يحسدون الناسَ على ما آتاهم الله من فضله؟

اللهم اهدِنا لأحسنِ الأخلاقِ والأقوالِ والأعمال، اللهم آتِ نفوسَنا تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكّاها، أنت وليُّها ومولاها. اللهم طهِّر قلوبَنا من النفاقِ والحسدِ والشحناءِ والبغضاء، اللهم إنّا نعوذُ بك من شرِّ الحاسدين، وكيدِ الحاقدين، إنك على كل شيءٍ قدير.

أقول قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الأُسوةَ بالمهتدين خيرَ نهجِ السالكين، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، والشكرُ واجبٌ له في كلِّ حين. وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمّدًا عبدُه ورسولُه، سيِّدُ الأوّلين والآخرين.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلى آله وصحبِه أجمعين.

عبادَ الله: عليكم أن تحرصوا غايةَ الحرصِ على أن يكون عملُكم وعطاؤُكم ومنعُكم وأخذُكم لله، وحبُّكم وبُغضُكم لله؛ وذلكم لتنالوا الأجرَ والثوابَ من الله. فلا حياةَ ولا سلامةَ إلا بالإخلاصِ للهِ وحده في جميع الأمور الدينيّة والدنيويّة. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف: 110)

أخي المسلم: احرصْ على أن يراك اللهُ فيما أمرك، وألّا يراك فيما نهاك، واحرصْ على أن يرضى اللهُ تعالى عنك بعملك، ولا تُرضي الناسَ بسخطِ الله عليك؛ بل أَطِعِ اللهَ واتَّقِ الله. فإن النبي (ﷺ) قال: "مَن أرضى اللهَ بسخطِ الناسِ كفاه اللهُ الناسَ، ومَن أسخطَ اللهَ برضا الناسِ وكَلَه اللهُ إلى الناس" (رواه الترمذي)
فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وطهِّروا قلوبَكم من أمراضِها، ونقُّوا نفوسَكم من أدرانِها، فإن الحسدَ يُفسِد القلوب، ويمزِّق المجتمعات، ويُذهِب الحسنات. وأخلِصوا أعمالَكم لله وحده، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا صوابًا.

عباد الله، اجعلوا سرَّكم وعلانيتَكم لله، وراقِبوا ربَّكم في السرِّ والعلن، فإنما الأعمالُ بالنيّات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى. فكونوا على يقينٍ أن رضا الله هو الغاية، وأن سعادتكم في الدنيا والآخرة مرهونةٌ بصدق إخلاصكم لربكم.

اللهم طهِّر قلوبَنا من الحسد، ونفوسَنا من الشحِّ والبغضاء.
اللهم ارزقنا الإخلاصَ في القول والعمل، والسرِّ والعلن.
اللهم اجعلنا من عبادك المخلَصين، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا.
اللهم ألِّف بين قلوب المسلمين، وأصلح ذات بينهم، واهدهم سُبُل السلام.
اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين، وأعلِ بفضلك رايةَ الحق والدين.
اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

هذا وصلّوا وسلِّموا على خير خلق الله، فقد أمركم الله بذلك فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.(سورة الأحزاب: 56)